

كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القديس يوسف في بيروت، في حفل تخرّج دُفعة 2022 في الطبّ، والعلاج الفيزيائيّ، وعلاج النطق، والعلاج النفسيّ الحركيّ، والعلاج المهنيّ، والقبالة، في الباحة الكبرى من حرم العلوم الطبيّة، يوم الخميس الواقع فيه 7 تمّوز (يوليو) 2022.

حضرات السيّدات والسادة نواب رئيس الجامعة، والسيد العميد، والمدراء والمديرات،

حضرات السيّدات والسادة المعلّمين والموظّفين الإداريين،

حضرات أولياء أمور الطلاب الأعزّاء،

حضرات السيّدات والسادة الـ316 متخرّج من كليّة الطبّ ومعاهدها المُلحقة بها،

إنّه لمن دواعي سروري أن نجتمع معاً في حفل التخرّج هذا، بعد حوالي ثلاث سنوات من اجتياح جائحة الكورونا، حتّى لو لم تكن الظروف الصحيّة اليوم مثاليّة للاحتفال بنجاحاتكم، أيّها الطلاب الأعزّاء من دُفعة 2022، في الطبّ، والعلاج الفيزيائيّ، وعلاج النطق، والعلاج النفسيّ الحركيّ، والعلاج المهنيّ، والقبالة. يقول أحد المؤلّفين المعروفين: "السبب الذي توجّه من أجله التهاني هو نجاحكم" وسأضيف نجاحاً في تكوين شخصيّاتكم المتميّزة والرائعة! تظّلّ شهادتكم جواز سفر لمدى الحياة، فهي إذن الانتصار على الجهل والإهمال، إنتصار الفكر والتميّز.

أودّ أن أتحدّث إليكم عن الرجاء! قد يُصدّم البعض منكم من الحديث عن هذا في سياق الانهيار في بلدنا وعلى جميع المستويات. أنا لا أتحدّث عن أمل سهل وهشّ وساذج قائم على تمنّيات وأفكار غير واقعيّة. لا، أنا أتحدّث عن نوع الأمل النقديّ الذي ينبع من التقليد اليسوعيّ والإنسانيّ لجامعتكم، جامعة القديس يوسف. بهذا المعنى، فإنّ الرجاء الذي يواجه الأزمات الدوريّة القاسية المعروفة في بلدنا يقوم على تجربة وتاريخ، تاريخكم في هذه الجامعة التي تخرّجتم منها ولنتمّ الشهادة؛ أعتقد أنّ هذا الرجاء يمكن أن يكون بمثابة قيمة مشتركة، كفضيلة لنا جميعاً في هذه الأيام الصعبة. صحيح أنّ الرجاء، كما يقول فلوبيير Flaubert، هو فضيلة تتمثّل في الإيمان بدون دليل، وانتظار المرء بحرارة لما لا يعرفه على الإطلاق. إلا أنّ هذا الرجاء بعالم جديد، وبلبنان جديد وبحقيق أحلامكم الشخصيّة يجب أن يعتمد على الطاقة الداخليّة الكامنة في داخلكم والتي اختبرتموها مسبقاً وبالتالي ستكونون شهوداً لها. إنّه لأمر بسيط بالنسبة إلى شخص يحبّ، ويلتزم بقضيّة ما، ويبدل وقته وطاقته من أجلها، فإنّ هذا الرجاء لا يخيب الأمل أبداً. في خمس نقاط، أودّ أن أخبركم لماذا يحتمّ عليكم الواجب أن تعيشوا الرجاء:

بادئ ذي بدء، أنتم أبطال لأنكم خلال هذه السنوات الثلاث الماضية، من أزمة إلى أخرى، من جائحة الكورونا إلى جريمة انفجار المرفأ، حافظتم على المسار، أقوياء في إيمانكم وروحكم النشطة، وفي قدراتكم الفكرية والنفسية وخاصة في عائلاتكم. استقال البعض، لكنكم واجهتم تحدّي الاستمراريّة حتّى النهاية للتخرّج ونيل شهادتكم.

ثانياً، لقد آمنتم بجامعتكم وبالمسؤولين في كليّاتكم ومعاهدكم الذين واجهوا، في خضمّ هذه الأزمات المتعدّدة، التحديّ المتمثّل في الاستمرار، إمّا من خلال التعليم عن بعد أو حضورياً، ولكن دائماً بهدف التميّز. اليوم، وغداً، نواصل العمل للحصول على أفضل تنشئة والحصول على أفضل شهادة حتّى نتمكنوا من الوصول المستحقّ إلى المناصب والمهن، وهي من أكثر أحلامكم سحرًا.

ثالثاً، أظهر العديد منكم أنّكم مواطنون بكلّ معنى الكلمة، من خلال المشاركة مع الجامعة، سواء من خلال دائرة الحياة الطلابيّة، وعلميّة اليوم السابع أو جامعة القديس يوسف في مهمّة، أو خارج الجامعة مع منظمات غير حكوميّة تعمل على الصالح العام، من أجل زرع الفرح والسلام، والمحبة والأخوة، بتنظيف الشوارع أو توزيع الأدوية والموادّ الغذائيّة وتدريب فاعلين في الحياة المدنيّة بغية التغلّب على البؤس والجهل.

رابعاً، لقد شاركنم في أعمال شفاء الكثيرين من المنهاريين خاصة بعد انفجار مرفأ بيروت ومن الجحيم الذي نعيشه، مع العلم أنّ الكثير من الجروح والاعتداءات على الناس لم يتمّ علاجها أو شفاؤها بعد. إذا نظرنا إلى تداعيات الانفجار المذكور والذي تسبّب

في وقوع العديد من الضحايا، فسنجد أنّ كل شيء يتمّ القيام به لمنع كلمة من العدالة وإدانة المسؤولين عن هذه المذبحة اللإنسانية. إلا أنّ صوتنا، صوت التضامن مع الضحايا، سيكون دومًا عاليًا وحازمًا من أجل دعم الحقيقة.

خامسًا، لقد تعلّمتم، في هذه الجامعة، أن لا مكان للتمييز الطائفيّ أو الاجتماعيّ، وحدها صفات الجدارة والجدد والصدق هي الأهمّ. لقد عشتموها وهذه علامة نجاح. لقد تعلّمتم أنّنا مواطنون لبنانيّون متساوون، فنحن وأنتم صانعو مستقبل لبنان سيّد وحرّ ومستقلّ. كأسرة جامعيّة، نردّ على أزمة العنف والتهديدات التي نمرّ بها كلّ يوم من خلال المطالبة باستعادة دولة الحقوق والواجبات ودولة المواطنين.

كيف نعلن، مع كلّ هذا، أنّنا لا نحتفظ برجاء أفق جديد؟ كيف نجرؤ على الاستقالة من مستقبل بلدنا وأحيانًا شتمه وإعلان أنّنا لم نعد نريد المواطنة اللبنيّة؟ نحن مدعوّون للعيش في استمراريّة الأمل والرجاء كترياق للأمراض الاجتماعيّة التي تطغى علينا ومواصلة مقاومتنا. نحن مدعوّون، من خلال عيش المحبّة الموهوبة والمقبولة، لنكون شهود أمل وعزاء لكلّ الناس الذين يعانون من الألم، والحزن، والمآسي والصعوبات. أشار المؤرّخ اليسوعيّ جون أومالي John O'Malley إلى أنّ مهمّتنا في الجامعة اليسوعيّة، وبالتالي في جامعة القديس يوسف، تكمن في تكوين أشخاص من أجل الآخرين يعملون كوزراء يبنّون العزاء والمصالحة لهم. في عالم جريح ومرهق، هذا هو نوع الأمل الذي ينتظره ممّا الكثير من الناس. نحن شهود رجاء، وبناء سلام وصانعو فرح.

عطفًا على ما قلته لتوّي، أختم بخمس نصائح أضعها في عقولكم وقلوبكم :

1) اعملوا، أيّها المتخرّجون الأعزّاء، من أجل الصالح العامّ كما لو كنتم تعملون لمصلحتكم الخاصّة، إنّها علامة أنّكم مواطنون صالحون وأنكم تحترمون دولة الحقوق والواجبات. لا تدعوا اهتمامكم بالمال يهيمن عليكم، فالمال مجرد وسيلة لتحقيق أحلامكم ورسالة حياتكم.

2) في هذه الجامعة وفي عائلتكم، تعلّمتم أنّ جذوركم هنا في لبنان، أرض الأسلاف والأجداد، أرض الضيافة وشذا الأرز، أرض التضحيات والأعمال البطوليّة. من الطبيعيّ أن تنمو الشجرة وترسل أغصانها في الاتجاه الصحيح! أنتم الأغصان، ولكن حينما تكونون، لا تستطيعوا أن تخافوا على اخضراركم وتوتوا بثمار من دون الاهتمام بجذوركم! غدّوا جذوركم بقيم المحبّة، والثقة والعدالة بحيث تكون نشطة وتمنحكم النسغ الذي تحتاجونه!

3) كونوا رجال ونساء قناعة! كونوا دائميّ إيجابيين واستباقيين في مقاربتكم للعالم وللأشخاص الآخرين! كان مؤسس اليسوعيين ينصح ببذل قصارى جهدهم لحفظ أقوال الآخرين وليس إدانتهم ورفضهم بشكلٍ إجماليّ ومُسيق! اعملوا أنّ الجودة الأساسيّة المطلوبة منكم في عملكم هي أن تكونوا أشخاصًا موثوق بهم ومتعاطفين، ممّا يُكسبكم تقدير الجميع.

4) بحكم القسّم الذي أنتم على وشك النطق به، كونوا أشخاصًا إنسانيين في ممارسة مهنتكم في عالم تغزوه الروبوتات والتكنولوجيات الجديدة! كلّ شيء لا يتعلّق بالتكنولوجيا، فالإصغاء والابتسام، والكلمات المشجّعة أكثر أهميّة من أيّ شيء آخر ويمكن أن تكون مصدرًا للشفاء والصحة الجيدة سواء كانت جسديّة أو إقتصاديّة.

5) في جميع الأوقات، كونوا ممتنين للربّ الإله الذي وهبنا الحياة، ولوالديكم وأصدقائكم، ولمدرستكم، وجامعتكم التي ساعدتكم على تحقيق أحلامكم. لكن في الوقت نفسه، اعتمدوا على قدراتكم المكتسبة خلال مسيرتكم الجامعيّة! لا تستقيلوا بالاعتماد على الآخرين، بل بالاعتماد جيّدًا على ذكائكم وإرادتكم! كوّنوا شبكة للحصول على الدعم، بانخراطكم إلى مجموعات قدامى خريجي جامعة القديس يوسف المتضامنين في المعركة نفسها والفخوريين بالانتماء إلى العائلة نفسها!

6) أخيرًا، كونوا أشخاصًا شغوفين بما يفعلونه وللوصول حتّى نهاية مشروع لصالح الصّحة! لا تكونوا أبدًا فاترين بل شغوفين لما أنتم عليه ولما تقومون به! ليكن لديكم دائميًا قضية تقاتلون من أجلها القتال الجيّد! أنا لا أتحدّث عن السياسة، بل عن قضية إنسانيّة، وبيئيّة، واجتماعيّة وصحيّة أو حتّى فكريّة أو ثقافيّة! إذا قلتم شيئًا، اعملوا أنّ هذه الكلمة يجب أن تُترجم إلى فعل أو موقف حتّى تكون حقيقيّة ومسؤولة!

أصدقاءنا الأعزّاء، فلترافقكم يد الربّ الإله، وصلوات أهلکم، وأمّنات المسؤولين عنکم ومعلّمیکم على طریق صعب، لکنّها أصبحت سهلة علیکم بالشغف الذي يدعم مسیرتکم ! أنتم مؤهلون لتخطّي كلّ المزالق، من أجل أن تعيشوا مزوّدين بقوة إیمانکم بأنفسکم وبلبنانکم، لبنان الحرّیات والعدالة، والاعتزاز والأمل بأيّام أفضل، لکم جميعًا، ومفعمة بالسعادة والنجاح.